مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 02 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

إسهامات المقريزي في الفكر الأنثروبولوجي الاقتصادي

Al-Maqrizi's contributions to economic anthropological thought

جمال معتوق*، جامعة البليدة 2، matouk59@yahoo.fr

سمير حراث ، جامعة المدية، harrat1971@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/07/03 تاريخ القبول: 2021/08/09 تاريخ النشر: 2021/12/10

ملخص:

تعد الأنثروبولوجيا عامة والأنثروبولوجيا الاقتصادية خاصة في نظر علماء الغرب، ميدان جديد من ميادين العلوم الاجتماعية، ومن ابتكار العقل الغربي، ذلك العقل المتفوق دوما على باقي العقول الاخرى، إلا أننا في هذا العمل سوف نعمل على ابطال هذه الدعاية واظهار شيء من اسهامات الأمم الأخرى، وبالخصوص دور المفكرين والعلماء العرب والمسلمين في بلورة ووضع الأسس العلمية والاطر المعرفية الدقيقة للأنثروبولوجيا عامة والانثروبولوجيا الاقتصادية خاصة.

كما توصلنا من خلال العديد من الحفريات التي قمنا بها في ثنايا التراث الوقوف على هذه الاسهامات خاصة منها المقدمة من طرف العديد من الرحالة والمؤرخين وحتى الجغرافيين من أمثال المقدسي، جماعة اخوان الصفا، البيروني، صاعد الاندلسي، ابن بطوطة، احمد الدلجي وتقي الدين المقريزي وغيرهم كثيرون. وفي هذا العمل سوف نسلط الضوء على اسهامات أحد تلامذة العلامة ابن خلدون وهو العالم تقي الدين المقريزي من خلال عرض بعض الآراء الانثروبولوجيا الاقتصادية في كتابه "إغاثة الامة بكشف الغمة"

الكلمات المفتاحية: المقريزي، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، الإسهامات، الفساد، الاقتصاد.

*المؤلف المرسل

Abstract:

Anthropology in general and economic anthropology in particular in the eyes of Western scholars, is a new field of social sciences, and the innovation of the Western mind, that mind is always superior to other minds, but in this work we will work to nullify this propaganda and show some of the contributions of other nations, In particular, the role of Arab and Muslim thinkers and scholars in crystallizing and laying the scientific foundations and precise cognitive frameworks for anthropology in general and economic anthropology in particular

We have also reached, through many excavations that we have carried out in the folds of heritage, to stand on these contributions, especially those made by many travelers, historians and even geographers such as Al-Maqdisi, the Safa Brotherhood, Al-Biruni, Sa'ed Al-Andalusi, Ibn Battuta, Ahmad Al-Dalji, Taqi Al-Din Al-Maqrizi and others many.

In this work, we will shed light on the contributions of one of Ibn Khaldun's students, the scholar Taqi al-Din al-Maqrizi, by presenting some views of economic anthropology in his book "Relief to the Nation by Uncovering the Grief".

Keywords: Almakrizi, Economic Anthropology, contributions, economy, corruption.

مقدمة:

شكلت ولاتزال إسهامات العرب والمسلمين في مجال العلوم والمعارف مواضيع لعديد من الدراسات وهذا بغية الوقوف على حقيقة هذا العطاء والدور الخلاق. كما جاءت هذه الدراسات لدحض ادعاء الغرب بأنه هو السباق والمؤسس الحقيقي لكافة العلوم، والمعارف والفنون، ونكر أي دور للآخر سواء كان عربي أو غير عربي.

وعليه جاءت هذه الدراسة لتقديم إسهامات أحد كبار العلماء المسلمين، وهو تقي الدين المقريزي، في مجال ما سميناه بالأنثروبولوجيا الاقتصادية. صحيح أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية شأنها شأن الأنثروبولوجيا العامة والعديد من العلوم الاجتماعية الأخرى اليوم علوم غريبة شبه كلية من حيث الطرح والتناول والمقاربات المنهجية والنظرية، إلا أن هذا لا ينفي بأن المعرفة تراكمية وأنها لم تأتي دفعة

واحدة وأن الغرب وعلمائه لم ينطلقوا من الصفر أو العدم، بل وجدوا العديد من الإسهامات في مختلف أصناف المعارف والعلوم وبنوا عليها ما يسمونه اليوم بالعلم الغربي الحديث.

ولما كانت الأنثروبولوجيا بكل فروعها من العلوم الاجتماعية الأكثر تعقيدا ومن بين العلوم التي تم ضبط معالمها في نهايات القرن التاسع عشر وإعطاءها الطابع الحالي الوضعي، ارتئينا في هذا العلم تقديم أو عرض بعض الآراء والإسهامات الحية للعلامة العربي المسلم تقي الدين المقريزي في مجال دقيق جدا من مجالات علم الأناسة، ألا وهو الأنثروبولوجيا الاقتصادية، معتمدين في ذلك على كتابه الشهير "إغاثة الأمة بكشف الأمة"، وهو الكتاب الذي خصصه لدراسة المجاعات والكوارث التي عرفتها مصر والأمة الإسلامية بسبب الفساد السياسي والاقتصادي، كما نسعى من وراء هذا العمل تقديم بعض الصور الحية التي نقلها هذا العالم عن تلك البيئة.

أولا: تحديد المفاهيم:

1.تعريف الأنثروبولوجيا العامة:

تعرف الأنثروبولوجيا، بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة ويسلك سلوكا محددا، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علما متطورا، يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله (أبو هلال، 1979، صفحة 9) وتعرف أيضا بأنها: علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا (الجباوي، 1997، صفحة 9) .وعليه يمكن القول بأن الأنثروبولوجيا هي الدراسة العلمية للإنسان بكل أبعاده النفسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية والفيزيولوجيا، كما أنه يهتم بتتبع البعد التطوري لبني البشر، وكيف استطاع هذا الأخير التكيف مع مختلف الأوساط أو البيئات التي تواجد فيها بفضل ابتكاره وانفراده بالثقافة.

2 -الأنثروبولوجيا الاقتصادية :

يختص هذا الفرع الحديث جدا بدراسة النظم الاقتصادية في المجتمعات البدائية والمجتمعات الزراعية، وقد شعر الأنثروبولوجيون بضرورة إنشاء هذا الفرع بعد فشل نظريات علم الاقتصاد في تفسير النظم الاقتصادية في المجتمعات البسيطة، فقد تبين أن نظريات علم الاقتصاد خاصة بالمجتمعات الحضرية والمتقدمة، أما المجتمعات البدائية والقرى الزراعية فإنها في أشد الحاجة إلى فرع جديد يختص بدراسة نظمها الاقتصادية، وظهرت شدة الحاجة إلى هذا الفرع الحديث بعد فشل برامج التنمية الاقتصادية التي تقدمها الهيئات الدولية للمجتمعات البدائية والدول النامية (وصفي، 1975، صفحة 25).

نلاحظ من خلال هذا التعريف، أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية هي فرع من فروع الأنثروبولوجيا العام، تهتم بالجانب الاقتصادي (المادي) للحياة الاجتماعية، كما أن هذا الفرع حسب مزاعم هذا الباحث حديث جدا، وهذا غير صحيح، الدكتور عاطف وصفي لم يقوم بأي دراسة أو حفريات لإسهامات الشعوب المختلفة في حقل الأنثروبولوجيا الاقتصادية، وتجاهل أن المعرفة ذات طابع تراكمي وأن الأنثروبولوجيا الاقتصادية لم تأتي بشكلها الحالي دفعة واحدة، بل هي حوصلة للعديد من الإسهامات والأعمال عبر التاريخ.

من جهتها، تعرف شريهان حوامدة الأنثروبولوجيا الاقتصادية قائلة، "الأنثروبولوجيا الاقتصادية واحدة من الفروع الأربعة" الرئيسية للأنثروبولوجيا، والتي تعني بدراسة قضايا التجارة والتوزيع، وتنظيم الإنتاج في مختلف المجتمعات البدائية والمعاصرة، وأيضا تركز على دراسة طبيعة الفقر والهجرة والتخصص وتقسيم العمل حسب النوع والعمر ودور التكنولوجيا في إدارة المشاريع الاقتصادية، وغيرها من القضايا التي تحظى باهتمام علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية (حوامدة، 2021، صفحة 39).

هذا التعريف نرى بأنه أكثر دقة وشمولية، فيما يخص اهتمامات الأنثروبولوجيا الاقتصادية، عكس التعاريف التي جعلت موضوع هذا العلم محصورا في الإنتاج، التوزيع والتبادل وغيرها من المواضيع ذات الصلة الوطيدة بالاقتصاد. وعليه نرى بأن الأنثروبولوجيا الاقتصادية، كعلم من العلوم الاجتماعية يهتم بدراسة الإنسان الاقتصادي(economicus) بالطبع، من حيث كونه صانع النظم الاقتصادية والظروف العيش الملائمة.

ثانيا: أهداف الدراسات الأنثروبولوجيا:

تعدد أهداف الدراسات في علم الإنسان أو ما اصطلح على تسميته بعلم "الأنثروبولوجيا"، أو عند العرب بعلم الأناسة، وفي هذا العلم سوف نشير إلى بعض هذه الأهداف التي نرى بأنها عقلانية وموضوعية ولا تتعدى حجم هذا العلم، كما أنها لا تتطفل على ما هو خاص بغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع نظرا للتداخل الكبير بين العلمين.

يصنف لنا الدكتور عيسى الشماس أهداف الأنثروبولوجيا في النقاط الآتية:

1.وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعات المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم بها أفرادها من سلوكيات في تعاملهم، في الحياة اليومية.

2. تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان (بدائي، زراعي، صناعي، معرفي، تكنولوجي).

3.تحديد أصول التغيير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة (الشماس، 2004، صفحة 12) .

4. استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية/ الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة (لينتون، 1967، صفحة 46).

ومنه نستنتج أن للدراسات الأنثروبولوجيا العديد من الأهداف تسعى الوصول إليها منها:

.تصنيف (classification) مظاهر الحياة البشرية والحضارية.

.الوقوف على أهم المراحل التطورية التي مر بها الإنسان إلى أن يصل إلى ما هو عليه اليوم في شكل الإنسان العاقل Homosapien.

.كيف استطاع هذا الكائن الضعيف الصمود أمام التحديات البيئية والقدرة على التكيف adaptation.

.دراسة التراث الإنساني بشقيه المادي والمعنوي والوقوف على عناصر التغيير.

.الوصف للحياة الاجتماعية ولمختلف النظم مع الدراسة التحليلية لهذه النظم.

.دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عبر الأزمنة ووصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات المختلفة.

إن اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقا أساسيا في فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها، ولكن على الرغم من التوسع في مجال الدراسات الأنثروبولوجيا، فمازالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثارها ما قبل التاريخ، تؤكد ولا شك تفرد مجال الأنثروبولوجيا عما عداها من العلوم الأخرى، ولا سيما علم الاجتماع (فهيم، 1986، صفحة 35).

وعليه يمكن القول بأن هناك تقاطع بين أهداف الدراسات الأنثروبولوجيا وأهداف العديد من العلوم الأخرى سواء كانت علوم صلبة (كالبيولوجيا، علم الجيولوجيا...الخ) وعلوم مرنة مثل علم الاجتماع، علم النفس، علم الحضارة، علم الآثار.... الخ وهذا راجع لطبيعة واهتمامات هذا العلم.

ثالثا: المراحل التي مرت بها الأنثروبولوجيا الاقتصادية:

وقد حدد كل من كريس هان وكيث هارت أهداف الأنثروبولوجيا الاقتصادية قائلين: "يهدف علماء الأنثروبولوجيا إلى اكتشاف مبادئ التنظيم الاجتماعي على المستويات كلها، من أكثرها خصوصية إلى العام منها، وكان هدف الأنثروبولوجيا الاقتصادية في القرن التاسع عشر، حتى قبل أن تتشكل على هيئة "علم اقتصاد الإنسان البدائي" هو أخبار الزعم القائل بوجوب قيام نظام اقتصادي عالمي على المبادئ التي قام عليها مجتمع صناعي غربي يتوق إلى العالمية (universality)، وكان البحث دائرا عن بدائل يمكن أن تؤمن اقتصاد أكثر عدلا، ليبراليا أكان أم اشتراكيا أم فوضويا أم شيوعيا، ومن هنا جاء الاهتمام بالأصول والتطور، إذا كان مفهوما أن المجتمع في حالة حركة، وأنه لم يصل إلى شكله النهائي بعد، وكانت الأنثروبولوجيا هي الطريق الأشمل للتفكير في الممكنات الاقتصادية (هان و هارت، 2014، صفحة 17).

من الملاحظات والمآخذ التي نأخذها على العالمين كونهما، يصرحان بأن الظروف لم تكن متهيئة قبل نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حتى تتأسس الأنثروبولوجيا عامة والاقتصادية خاصة، وهذا نكران لإسهامات الأمم الأخرى في هذه الحقول المعرفية، فعلماء الغرب يتميزون بالنزعة

المركزية الأوروبية Européocentrisme، بمعنى أن كل العلوم بدأت معهم ومع الثورات الأوروبية، وهذا إقصاء وتهميش للشعوب الأخرى ومنها العربية والإسلامية.

وحول مسيرة الأنثروبولوجيا الاقتصادية بمفهومها الحديث نجد كل من" كريس هان" و "كيث هارت" يقولان: "نميز في تطور الأنثروبولوجيا الاقتصادية، بوصفها حقلا مستقلا، ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى التي امتدت من السبعينيات القرن التاسع عشر إلى أربعينات القرن العشرين، أنصب اهتمام معظم علماء الأنثروبولوجيا على ما إذا كان سلوك "المتوحشين" الاقتصادي يستند إلى أفكاره الكفاءة و "العقلانية" ذاتها التي يفترض أنها تحفز السلوك الاقتصادي في الغرب، وكرسوا جهدهم في البداية لوضع عروض موجزة عن التاريخ العالمي الذي كان، من وجهة نظرهم، عملية تطورية، وفي ما بعد في السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى، أصبحت ممارسة العمل الميداني مهيمنة أكثر من أي وقت مضى، وسعى الإثنوغرافيون إلى ربط أعم فرضيات علم الاقتصاد السائد (الكلاسيكي الجديد) بنتائجهم الخاصة عن المجتمعات " البدائية"، لكنهم اخفقوا أساسا لأنهم لم يفهموا المقدمات الإبستيولوجية لعلماء الاقتصاد (هان و هارت، 2014، صفحة 18).

يواصل كريس هان وكيث هارت كلامهما: "في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، كانت الحرب الباردة في أوجها، والاقتصاد العالمي مزدهرا، والحكومات في كل مكان تتعهد توسيع الخدمات العامة مع المحافظة على ضوابط صارمة بخصوص الأسواق المالية في تلك الظروف، كان علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية يتجادلون فيما بينهم في شأن النظريات والمنهجيات اللازمة لدراسة ميدانهم الخاص الذي كان قد امتد في ذلك الوقت ليشمل فلاحي العالم إضافة إلى أبناء القبائل الذين كان عددهم في تناقص حينها. واعتقد "الشكلانيون" (formalist) أن المفاهيم السائدة في علم الاقتصاد وأدواته كافية للقيام بهذه المهمة، في حين زعم " الجوهرانيون" (substantivist) أن المقاربات المؤسساتية أكثر ملائمة، وكانوا يقصدون بكلمة " مؤسساتية" (institutional) أن الحياة الاقتصادية في المجتمعات التي تهيمن عليها الأسواق المتجردة عما هو شخصي "متضمنة" دائما في مؤسسات اجتماعية أخرى، تندرج من الأسرة إلى الحكومة والدين (هان و هارت، 2014، صفحة 18).

مواصلة لكلامهما نجدهما يصرحان: " لو عدنا إلى تلك الفترة يمكن القول إن هذا السجال بين الشكلانيين والجوهرانيين كان عصرا ذهبيا للأنثروبولوجيا الاقتصادية، لكنه انتهى بمأزق، فتح بذلك الطريق أمام الماركسيين وأنصار الحركة النسوية حتى يهيمنوا فترة وجيزة من الزمن، لكنهم بالغوا في اعتمادهم على الموضوع التقليدي للأثنوجرافيا الغربية القصية، (exotic). وتبدأ المرحلة الثالثة من تاريخها من الحد الفاصل في السبعينيات لتمتد على مدى ثلاثة عقود من العولمة الليبيرالية الجديدة.

وسوف نتفحص هنا وجهات النظر النقدية الجديدة و" الإنعطافة الثقافية" في الأنثروبولوجيا الاقتصادية والتطلعات الجديدة إلى علم صلب (hard science)، ولا سيما في هيئة " علم الاقتصاد المؤسسي الجديدة"، وكانت هذه الفترة قد شهدت أنثروبولوجيين يوسعون دراساتهم لتناول التنظيم الاقتصادي الإنساني برمته، من منظورات متنوعة. وكان هؤلاء عموما قد فضلوا إلى الآن أن يلتزموا تقليد الرصد والمشاهدة الاثنوجرافية (ethnographic observation) لكننا نعتقد أن الوقت ناضج حتى يمضي الأنثروبولوجيين أبعد من ذلك، ليتناولو الاقتصاد العالمي برمته. وفي المرحلة الرابعة، ستنبثق الأنثروبولوجيا الاقتصادية أخيرا بوصفها ميدانيا تخصصيا قائمة بذاته (هان و هارت، 2014، صفحة 19).

ويظهر هنا جليا، أن هؤلاء العلماء، مثلهم مثل كافة العلماء الغربيين المؤرخين لتاريخ العلوم، يعملون دوما على تجاهل دور الحضارات الأخرى وكأن الغرب هو وحده من ابتكر العلوم والمعارف كلها، دون سواه، وهذا أكبر خطاء وتزييف للحقائق. كما أن المعرفة ذات طابع تراكمي، وما هي عليه العلوم اليوم من تقدم ما هو الا انعكاس للمجهودات والإسهامات التي بذلتها كافة الشعوب عبر مسارها التاريخي والحضاري. ونفس الشيء ينطبق على الأنثروبولوجيا الاقتصادية، إلا أن شكلها الحالي هو تتويج لهذه الجهود المتراكمة والمتضاربة عبر التاريخ الإنساني الطويل. ولكن هذا لا يعني إننا ننكر جهد الآخر في تطوير المنظومات المعرفية ووضع الأسس العلمية والإبستمية لهذه الأخيرة.

وفي الأخير نشير إلى أن الأنثروبولوجيا الاقتصادية بالمعنى والمفهوم الغربي الحديث، يرجع الفضل إلى عالم الأنثروبولوجيا "ملفيل هيرسكوفيتش" (Melville Herskovits) (1895م وتوفي 1963)، في استخدامه لأول مرة سنة 1940، لهذا المصطلح (التسمية)، حيث اشتهر هذا العالم الأنثروبولوجي الأمريكي بدراسة ما سماه بالاقتصاد البدائي.

رابعا: نماذج من الإسهامات العربية الإسلامية في حفل الانثروبولوجيا:

يأتي هذا المبحث كمدخل للتعريف بالجهد الهائل والنوعي للحضارة العربية الإسلامية في مختلف ميادين العلوم والمعرفة، وبالخصوص في حقل الأنثروبولوجيا العامة والأنثروبولوجيا الاقتصادية بالخصوص، حيث نشير هنا إلى أن العرب والمسلمين قد أبدعوا في هذا الميدان من ميادين العلم مقارنة بباقي الشعوب الأخرى.

ومن أمثلة العلماء الذين ألفوا وأسسوا للفكر الأنثروبولوجي عندنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الرحمان ابن خلدون العالم الموسوعي المتخصص في جل فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

. إخوان صفا، الجماعة التي حيرت علماء الغرب قبل الشرق والتي تفننت في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجيا بكل تخصصاتها وفروعها، كما أن هذه الجماعة تعد أول من تكلم على نظرية الارتقاء (التطور) الطبيعي للمخلوقات قبل العالم شارل داروين بالإضافة إلى كونها وضعت القواعد الصحيحة للعلوم الاجتماعية وعلى رأسها الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. كما يعد كتاب "الرسائل" وخاصة الجزء الثاني منه اهم مصدر في العلوم الاجتماعية بامتياز.

. ابن مسكويه المفكر المبدع والغزير الإنتاج، وهو رائد بدون منازع في ميدان العلوم الاجتماعية وخاصة الأنثروبولوجيا، وتعد مؤلفاته "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، و "الحكمة الخالدة" وخاصة كتاب "الفوز الكبير" و "الفوز الصغير" من أعظم ما كتب في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية على الإطلاق، حيث اهتم بدراسة وتحليل العادات والقيم والحضارات، والأمثال، الكسب، الحرف، المعاش وغيرها من القضايا الاخرى العزيزة على الأنثروبولوجيين.

. كما لا يمكن أن ننسى هنا الدور الذي قام به الجغرافيين والمؤرخين من أمثال "المقديسي"، الذي زار معظم أنحاء الدولة الإسلامية، وبلاد كل من السند، وأفغانستان وجزء من أوروبا وترك لنا مؤلفه الشهير "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" وهو في نظر العارفين من اهم الاعمال الاثنوجرافية على الاطلاق في البلاد الاسلامية.

. ابن جبير الأندلسي، ولد سنة 540هـ في الأندلس، وكان شديد ودقيق الملاحظة، ترك العديد من الأعمال عن المناطق والمدن التي زارها، وخاصة عمله الشهير "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" وقد اختص في وصف المدن والنشاط التجاري والأماكن الشهيرة، وغيرها من الإسهامات الأخرى، وتوفي في شهر شعبان 614هـ الموافق 1217م.

. الإدريسي وهو محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي الطالبي المولود في عام 493هـ 1100م وتوفي عام 1166م، (559هـ) يعتبر بدوره من كبار علماء العرب، اشتهر في صناعة الجغرافيا والتاريخ، ويعد مؤسس الجغرافيا البشرية دون أن ننسى الصفحات المشرقة التي تركها ورحلاته إلى دول أوروبا، ويعد كتابه "نزهة

المشتاق في اختراق الآفاق" تبقى القائمة طويلة ومفتوحة، نظرا لغزارة وتنوع إسهامات العرب والمسلمين في ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخاصة ميدان كل من الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا.

البيروني:

ولد أبو الريحان محمد البيروني (973هـ.1048م) في مدينة خوارزم، وهو فارسي الأصل، وتثقف بالثقافة الغربية الإسلامية، وعاصر ابن مسكريه وابن سينا، وكان على علاقة وثيقة بابن سينا، درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية واشتهر بالفلسفة والتاريخ وعلم الفلك والجغرافيا والرحلات وتاريخ الشعوب والأقوام، كتب مؤلفاته باللغة العربية، وقد عاش أبو الريحان البيروني في عصر سادته الصراعات السياسية والاجتماعية والحروب الإقطاعية الطائفية وغارات الأقوام البربرية، ويرى الباحثان "غفوروف" و "قاسم جانوف" أن "الحياة الاجتماعية في مدينة خوارزم قد تكون هي التي أملت على البيروني مؤلفه الضخم الأول وأرغمته على العودة إلى الماضي، كي يفهم كيفية تطور المجتمعات" (عيون السود، 1995، صفحة 88). وباعتماد الدراسة الاجتماعية . الاثنوجرافية للشعوب القديمة في كتابه "الآثار الباطنة من القرون الخالية"، فتح البيروني مجالا جديدا في المعرفة الاجتماعية، وقام بأول محاولة في الشرق العربي الإسلامي، ربما في العالم كله، للدراسة التاريخية الاجتماعية الإثنوغرافية" (عيون السود، 1995، صفحة 88، 89).

لقد استطاع هذا العالم الموسوعي المتميز، والقيام بالوصف والتحليل لمظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات التي زارها في ذلك الزمان، كما نقل لنا صفحات حية عن هذه المجتمعات ونمط معيشتها وما تتميز به من خصوصيات. وقد ترك أبو الريحان البيروني 150 مؤلفا وكتابا ورسالة، لم يصلنا منها سوى 22 مؤلفا، وأهم ما وصلنا من مؤلفاته:" تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، و"القانون المسعودي في البيئة والنجوم"، و"كتاب الصيدلة" و "كتاب التوحيد" في الجغرافيا وكتاب "التفهيم" وهي رسالة في الرياضيات والفلك، وكتاب " الجماهير في معرفة الجوهر" وهو أقدم كتاب في علم المعادن (عيون السود، 1995، صفحة 89).

يبقى كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة" من أهم الأعمال الأنثروبولوجيا لهذا العالم حيث نقل لنا فيه الحياة الاجتماعية بكل أبعادها (الدينية، الاقتصادية والثقافية) في الهند وهي من أعظم الدراسات الإثنوغرافية.

ابن بطوطة:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بر إبراهيم اللواتي الطنجي، ولد بمدينة طنجة (المغرب الأقصى) يوم 17 رجب سنة 703هـ، الموافق ليوم 24 فبراير 1304 ميلادية، ويعرف بابن بطوطة، وتوفي سنة 1377م. (الكنز، 1984، صفحة 88) قام ابن بطوطة بثلاث رحلات وقد استغرقت في مجموعها نحو 28 سنة، وكان أطولها الرحلة الأولى التي زار من خلالها معظم نواحي المغرب والمشرق. وكانت أطول إقامة له في بلاد الهند، حيث تولى القضاء سنتين ثم في الصين حيث تولى القضاء كذلك لمدة تقدر بسنة ونصف سنة، وقد حج بيت الله الحرام سبع سنوات متتالية، وقدم صورا حية عما عاشه وراءه في تلك الديار والبلدان (معتوق، 2016، صفحة 86).

كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" والمعروف أيضا باسم " رحلة ابن بطوطة " كتاب يصف فيه الرحلات التي قام بها عبر بلدان المغرب والمشرق. كما أعطى في هذا الكتاب صورا حيا عن أهالي الامصار التي زارها وطبيعة الحكم وحكامها، وهذا بالإضافة إلى رسم لوحات حية حول عادات وطبائع وتقاليد هذه المجتمعات (معتوق، 2016، صفحة 87). لقد احتوى كتاب "رحلة ابن بطوطة" الذي ترجم للعديد من اللغات، على صور دقيقة عن حياة الشعوب التي زارها سواء في المشرق أو المغرب، كما احتوى على العديد من التفاصيل الخاصة، كما يمكن اليوم دون أي خجل تسميته بالأنثروبولوجيا وذلك بكل فروعها المعروفة، خاصة منها الاجتماعية، الثقافية الاقتصادية، لقد تعرض إلى العديد من القضايا الاقتصادية: كالتبادل، المقايضة، السلع، الإنتاج، التسيير للشؤون الاجتماعية، التجارة، أنواع الصناعات السائدة عند الشعوب التي زارها، دون أن ننسى النشاط الزراعي وتربية الحيوانات.

وإذا كانت أسفار السندباد وعجائب الهند هي نبض البحر، فإن ابن بطوطة هو عقل البحر والبر، فهو راصد الحياة، وجامع الأخبار والحكايات والكرامات في تلك المناطق. (معتوق، 2016، صفحة 88) هذا وقد تطرق ابن بطوطة إلى عمل المرأة في الهند وهي بمثابة سابقة لم يسبقه فيها أحد، كما أنه قارن بين كل من البيئة العربية والإسلامية والهند فيما يخلي عمل المرأة ووجد أن للعامل البيئي والثقافي علاقة مباشرة في تحديد وتفسير هذه الظاهرة. ومع كل في " تحفة النظار" من أهمية ومعلومات وافرة وغريزة إلا أن الإنسان ينتابه الحزن لأن رحالتنا لم بدون رحلته أولا بأول، فلو كان فعل ذلك لأخرج لنا موسوعة شاملة عن الحياة الاجتماعية والحضارية بمناطق زيارته، ويبدو أنه لم يكن في ذهنه كتابة هذا، وأن تدوينه تم بعد أن سمع منه سلطان فاس أخبار رحلته فطلب إليه كتابتها، فأملاها على ابن جزي الذي

كتبها ذاكرا أنه نقل معاني الشيخ . ابن بطوطة . بألفاظ موفيه للمقاصد التي قصدها، موضحا للمناحي التي اعتمدها (عثمان، 1990، صفحة 29).

أحمد بن علي الدلجي:

لم يعرف تاريخ ميلاده إلا أن المؤرخين له ذكروا تاريخ وفاته سنة 838ه ثم قالوا إن عمره في السبعين ظنا حين توفي فيكون مولده على وجه التقريب بسنة 768ه (الجنيدل، 1992، صفحة 28).

هو أحمد بن علي بن عبد الله، شهاب الدين الدلجي: فاضل مصري له اشتغال بالفلسفة، حكم بإراقة دمه لزندقته، نسبته إلى دلجة (من صعيد مصر)، تعلم في البلاد المصرية، واشتهر بدمشق كان منتقصا للناس كثيرا الاستهزاء بهم، وتوفي بالقاهرة له كتب منها (الفلاكة والمفلوكون) و (شرح تسهيل الفوائد لابن مالك) الجزء الثاني بخطه، في القاهرة (الرقم العام 1698) و (الجمع بين التوسط للأذرعي والخادم للزركشي) مع زوائد في مجلدين. (الجنيدل، 1992، صفحة 28)

من جهته، يقول محمود منير عن الدلجي وكتابه " الفلاكة والمفلوكون" الذي وضعه في القرن التاسع الهجري، أن ينظر إلى الفقراء بوصفهم طبقة يراد لها أن تؤمن بأقدار الله التي حكمت عليهم بالفقر، وأن يغضوا الطرف عمن يحتكر الثروة ليمعن في إفقارهم والفلاكة هنا أكثر دلالة من الفقر والمفلوك هو "الرجل غير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره"، وهو مصطلح يعود إلى العصر المملوكي الذي عاش فيه المؤلف، الذي يرى أن الفلاكة تعبير عن الغربة والاغتراب في مجتمع ينحاز إلى الثراء وتتفرد ثقافته الرسمية بمفاضلة الغني على الفقير، في مركزه وحضوره الاجتماعي وسلوكه، وحتى في آخرته وحكم السماء عليه (منير، 2021).

ويواصل الباحث محمود منير تحليله لآراء الدلجي الأنثروبولوجيا الاقتصادية، للوقوف على أهم صور الفقر والترحل من منطقة إلى آخر بحثا على الحظ، فيقول: " ويقرن الدلجي بين الغنى والتمدن، ويشدد على الاجتماع بين المفلوكين ومن هم أكثر فلاكة لا فائدة منهم، لأن حكمة التمدن مفقودة فيهما، وغاية الاجتماع بهما تضاعف الفلاكة وتكاثفها، خلافا لاجتماع الأغنياء وتمدنهم. ويتولع المفلوكون بالسفر والبحث عن حظهم المفتقد في أوطانهم، وربما تلاقت هذه النظرة مع مقولة الإمام على: "الفقر في الوطن غربة، والغنى في الغربة وطن".... ويكتشف الدلجي الأغنياء الذين يقاومون كساد الأسواق بالغش والاستعانة بوكلاء السوء والتحالف مع الملك، مستشهدا بقول النبي محمد (ص): "ما دخلت السكة (النقد) إلا دخلها الذل". (منير، 2021)

ورغم ما أورده الدلجي من براهين على رفض القدر كمسبب للفقر، ونقده للسلطة وأصحاب المال الذين يبذلون جهدهم في استغلال الفقر أنه عاد في النهاية الكتاب للدعاء إلى الله الذي انقطع الرجاء إلا منه، وحصل اليأس إلا من رحمته، بأن يعتق عنقا من رق غيره (منير، 2021). كما يعد كتابه الدلجي بمثابة بركان حاول من خلاله زلزلة التقاليد والتراث القدري السائد في عصره، والذي كان يعمل على تخدير الأفراد وجعلهم يؤمنون بأن الفقر هو من عند الله، وإنه قدر المفلوكين (أي الفقراء). وفي كتابه هذا الذي لا يسعنا التطرق إلى كل ما جاء فيه، نجده قد قام بالدراسة والوصف والتحليل لأهم الظواهر الأنثروبولوجيا الاقتصادية السائدة في وقته وهي:

. الفقر والفقراء.

. خصائص الفقير: الحسد، الحقد، الإيقاع في أعراض الناس. /. البطالة. /. السفر وعدم الاستقرار بحثا عن الرزق من طرف المفلوكين. /. الفقر المالي أو ما سماه بالفلاكة المالية. / الكسل. /. العوامل الطبيعية والسياسية والاجتماعية وراء الفقر. /. المغالطات الدينية (القدر هو المسؤول على الفقر)

بعد قراءتنا لكتابه " أحمد بن علي الدلجي" وقفنا على قوة وصفه لظاهرة الفقر والفقراء في العهد المملوكي وكيف كان يفسر رجال الدين هذه الظاهرة وإرجاعها للقضاء والقدر، كما عمل المؤلف على وصف وتحليل مجمل مظاهر الحياة الاجتماعية، الثقافية والإيديولوجية وخاصة الوقوف على حال أفقر طبقة في ذلك الوقت ومن طبقة المفكرين والأدباء والنحويين طبقة المثقفين وكيف كانوا يعنون من البؤس والاغتراب.

خامسا: المقريزي والتأسيس لأنثروبولوجيا اقتصادية إسلامية:

1. التعريف بالعلامة المقريزي:

هو أحمد بن علي عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقريزي . بفتح الميم . نسبة إلى مقريز محله من بعلبك، البعلي ثم المصري الفقيه المؤرخ الشافعي (النميسي، 1999، صفحة 7) . كما كان يدعي النسب الفاطمي ومن هنا كان العبيدي في نسبة . العبيدي الحسيني . وقد ذكر بعض المؤرخين أن نسب المقريزي يرجع إلى الفاطميين، ومنهم صاحبه ابن حجر العسقلاني (عطا، 1977، صفحة 7). ولد سنة766هـ/1356م بحارة برجوان بقسم الجمالية بمحافظة القاهرة بمصر (عطا، 1977، صفحة 27).

وتوفي فيها سنة 845هـ/1441، وكان جد المقريزي من كبار المحدثين في بعلبك، وقد تحول والده إلى القاهرة حيث ولي بعض الوظائف القضاء وكتب الترقيع بديوان الإنشاء، وكان يسكن حارة برجوان وهي أكثر حارات القاهرة حيوية وامتلاء بالصخب وضوضاء العمران والحياة، وهناك نشأ ابنه أحمد ودرس على مشايخ العصر كابن الصائغ كافله ومربيه بعد أن مات أبوه وهو صغير، وكان جده لأمه فكفل تعليمه وأشرف على تنشئته وفق المذهب الحنفي (النميسي، 1999، صفحة 8).

أعماله: تعددت وتنوعت أعمال ومجالات كتابات تقي الدين المقريزي، ومن بين هذه الأعمال نذكر:

.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وهو أثر فريد في موضوعه وطريقته ومادته الغزيرة، يتحدث عن القاهرة وخططها (الطبوغرافية) القديمة، ويظهر من نصوصه أنه استمر تحت يدي المقريزي يبدي فيه ويعيد أكثر من خمسة وثلاثين سنة.... (المقريزي، 1997، صفحة 5) حيث ان هذا المؤلف هو من أهم المواضيع التي اعتنى بها المستشرقون في معرفة كل من القاهرة وأوقات إسطنبول والعديد من المدن الأخرى. وكذا كتاب السلوك في معرفة دول الملوك.

.شذور العقود في ذكر النقود. " وهو رسالة نفسية في تاريخ النقود العربية الإسلامية وقد كان في الأصل فصلا" من كتاب: "إغاثة الأمة " ثم أفرد بكتاب مستقل وعنوان خاص بعد أن توسع فيه، وثمة من هذه الرسالة نسخ مخطوطة عديدة في برلين ولندن وإستانبول وغيرها من العواصم الكبرى. وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت سنة 1797، وترجمها المستشرق دوساسي إلى الفرنسية ونشرها في باريس سنة 1797م. وأيضا "المقتضي في تراجم أهل مصر والوافدين إليها"، وهو كتاب حافل في تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين، كتب منه المقريزي ستة عشر مجلدا، وقد ذكر ابن تغري بردى كلمة المقريزي الذي قال عنه: لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلدا، وقد جعله المقريزي على حروف المعجم وقد ضاعت المجلدات المكتوبة من هذا المؤلف ولم يبقى منها سوى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف.... (المقريزي، 1997، صفحة 11)

إغاثة الأمة بكشف الغمة:

" وهو كتيب صغير ولكنه أفضل ما كتب المقريزي عمقا وفهما، استعرض فيه تاريخ المجاعات التي حلت بمصر منذ أقدم العصور حتى مجاعة 808هـ، السنة التي كتب فيها الكتاب مع تحليل العوامل الاجتماعية والاقتصادية لهذه الأزمات..." (المقريزي، 1997، صفحة 11) وفي نظرنا بعد هذا الكتاب من أهم الدراسات في ميدان كل من الأنثروبولوجيا الاقتصادية وعلم الاجتماع الاقتصادي، بالإضافة إلى كونه

دراسة مقارنة بين مختلف المجاعات التي عرفتها مصر عبر تاريخها الطويل وهذا تقييدا للقول الذي كان سائدا في عصر هذا العلامة والذي مفاده أن المجاعة هي قضاء وقدر وعقاب من عند الله، وقد اتفق هذا العالم مع العالم المصري الدلجي الذي سبق الإشارة إليه أن الفساد هو وراء الفقر والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية.

.رسالة في الموازين والمكاييل:

وفيه تناول الأوزان والأكيال الشرعية بالدراسة وهي أول دراسة من نوعها في المجال الاقتصادي، مع دراسته الشهيرة حول "النقود". وتبقى القائمة طويلة ولا يسعنا المجال عرضها كلها، للإشارة كذلك أن العلامة تقي الدين المقريزي هو من أهم تلاميذه العلامة عبد الرحمن ابن خلدون وهذا ما سمح له التمتع بالشخصية الصارمة في مجال المعارف والعلوم وخاصة بالتمتع بالدقة في الملاحظة وقوة التحليل واستنطاق المشكلات. كما أن هذا العالم قد تقلد العديد من الوظائف والمهام مثل الوظائف الإدارية، الحكومية كالعمل في ديوان الإنشاء، عمل كمحتسب ، في القضاء، وغيرها من الوظائف الأخرى ذات الطابع الاقتصادي التجاري، والتي سمحت له بمخالطة الناس والوقوف على التبادلات التجارية، ونشاط الأسواق، وضرب النقود وغيرها من الوظائف الأخرى، الأمر الذي ساعده في وضع أسس العديد من العلوم، خاصة منها علم الاقتصاد الإسلامي، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، علم الاجتماع الفساد وعلم اجتماع النقود وهو التخصص الذي أثر كثيرا في أنصار المدرسة الظاهراتية وعلى رأسهم العالم الألماني جورج زميل صاحب كتاب سوسيولوجية النقود.

2. إسهامات المقريزي في الأنثروبولوجيا الاقتصادية:

في هذا العمل سوف نعتمد خاصة على كتاب: "إغاثة الأمة في كشف الغمة" وكتاب النقود، وهذا خدمة لهذه الدراسة، كما نشير اهتمام المقريزي بظاهرة المجاعة وأهم العوامل والأسباب التي تؤدي إلى حدوثها، وقد شخص النقص في الإنتاج السلع والمواد والتضارب من طرف كبار التجار والمسؤولين، كما بين أثر العامل النقدي فيما يخص النقود المتداولة في النشاط الاقتصادي ونوعية هذه الدراهم المصنوعة من النحاس، وقد استطاع من خلال نشاطه الوظيفي في القطاع التجاري والرقابة أن يقف على ظاهرة خطيرة وهي "اختفاء النقود النفيسة تاركة المجال للنقود النحاسية بسبب ارتفاع الأثمان الذي أدى إلى خفض القيمة الشرائية في مقابل ارتفاع ثمن الذهب والفضة مقارنة مع سعر الصرف، الأمر الذي نتج عنه انتشار العملة النحاسية المغشوشة والرديئة على حساب العملة النفيسة"

ا. ظاهرة الاحتكار:

تعد ظاهرة الاحتكار في السلع من أقدم الظواهر، بل تناولها العديد من العلماء بالدراسة والتحليل للوقوف على أسبابها ونتائجها. وفي هذا الموضوع نجد المقريزي يقول: "أعلم حاط الله نعمتك وتولى عصمتك، إن الغلاء والرخاء مازالا يتعاقبان في عالم الكون والفساد منذ برأ الله الخليقة في سائر الأقطار وجميع البلدان والأمصار، ودون نقلة الأخبار ذلك وبسطوا خبره في كتب التاريخ، وعزمي إن شاء الله تعالى أن أفرد كتابا يتضمن ما حل بهذا النوع الإنساني من المحن والكوارث المجيحة " (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 91)

نستنتج من وراء هذا الكلام أن ظاهرة الاحتكار للسلع والبضائع (الخيرات) من طرف المضاربين تعد من أقدم الظواهر ولا تخص مجتمع ما بعينه، بل موجودة في كل المجتمعات وهذا ما وقف عليه المقريزي أو قرأه من خلال كتب التاريخ والأخبار التي نقلها الرحالة والجغرافيين.

وفيما يخص العوامل المؤدية إلى كل من الرخاء والغلاء، فنجده يركز بقوة على عامل (مسبب) الاحتكار كونه ظاهرة تنتشر بقوة في الأسواق وخلال المعاملات وينتج عنها المضاربة وارتفاع في الأسعار. وهذا الوصف الدقيق لعملية البيع والشراء والتبادل في الأسواق جاءت نتيجة المهنة أو الوظيفة التي مارسها المقريزي والمتمثلة في الرقابة. كما نقل لنا المقريزي في كتابه هذا حادثة الاحتكار التام التي وقعت في عهد الخليفة المستنصر، فيقول: "قصر النيل بعد خمس سنوات من نظره في سنة سبع وأربعين وليس في المخازن إلا جرايات من في القصور، مطبخ السلطان وحواشيه لا غير. ونزع السعر إلى ثمانية دنانير للتلبيس*، واشتد الأمر على الناس والتجار حين إعسار المعاملين وضيق الحال عليهم في القيام للديوان بما يجب عليهم من الخراج ومطالبة الفلاحين بالقيام به، وصاروا يبتاعون منهم غلاتهم قبل إدراكها بسعر فيه ربح لهم ثم يحضرون إلى الديوان ويقومون للجهبذ * عنهم بما عليهم. منع الوزير ذلك وكتب إلى عماله عامة النواحي بتحرير

ما قام به التجار عن العاملين وعن مبلغ الغلة الذي وقع الابتياع عليه، وأن يقوموا للتجار بما وزنوه للديوان ويربحوهم في كل دينار ثمن دينار. فقام بالتدبير أحسن قيام مدة عشرين شهرا إلى أن أدركت الغلة التالية فتوسع الناس بها وزال عنهم الغلاء. وفيما يخص احتكار الدولة نجده يقول:" قصر مد النيل في سنة ست وثمانمائة فشنع الأمر وارتفعت الأسعار حتى تجاوز الأردب من القمح أربعمائة درهم، وسرى ذلك في كل ما يباع من مأكول ومشروب وملبوس، حتى جاء غوث الله سنة سبع وثمانمائة فكثرت زيادة النيل وعم النفع به الإقليم، فاحتاج الناس إلى البذر وكانت الغلال تحت أيدي أهل الدولة وغيرهم

كثيرة جدا لأمرين: أحدهما احتكار الدولة الأقوات ومنع الناس من الوصول إليها إلا بما أحبو من الأثمان. (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 116)

إن المتتبع لما كتبه العلامة المقريزي في "إغاثة الأمة" يجد أن هذا الرجل قام بوصف دقيق للقيم الفاسدة والمؤسسة للاحتكار والمضاربة، كما أنه صور لنا الجشع والربح السهل دون مراعاة الآخرين وأوضاعهم المزرية، هذا الوصف الدقيق والعميق للشخصية العربية عامة والمصرية خاصة في تلك الفترة، ما زال قائما، حيث نجد نفس السلوكيات تنتشر عندنا مثلا في المناسبات الدينية والأعياد، حيث تصبح هذه المناسبات أفضل فرصة للاحتكار والسلب والسرقة من طرف التجار.

ب. الدلالات السيمائية لعنوان كتاب "إغاثة الامة":

عنوان: "إغاثة الامة بكشف الغمة"، مفتاح دلالي، مركب من العديد من الوحدات، ولكل وحدة معناها الخاص في إطار الكتاب كنسق سيميولوجي متكامل الوحدات، حيث أن كلمة إغاثة دال سيميائي يحيل إلى مدلول يتمثل في : "النجدة، الحماية، الإنقاذ، النجاة" وتكتمل قيمتها الدلالية عند ربطها بكلمة الأمة، حيث تستحضر هذه الكلمة كل دلالات الوحدة، التناسق، الانسجام، الكل، الرابطة القوية، فإغاثة الأمة من هذا المنظور دال سيمولوجي، قوي الدلالة يحيل إلى إنقاذ الكل من غطرسة البعض (الأقلية)، ، وهي من هذا المنظور تستحضر كل القيم الإيجابية، مثل الوحدة، الإنسانية، التضامن، الترابط ،التازر الإخاء.. وتفتح في الوقت ذاته المجال للعديد من التساؤلات حول مسألة من من (الطرف المهدد) يتم إغاثة الامة، أو بالأحرى ما هو الخطر الذي يهدد الأمة، وكيف تتم فعاليات هذه الإغاثة، وهو السؤال الأساسي الذي يمكن الإجابة عنه في الشطر الثاني من عنوان الكتاب من خلال المتتالية: "بكشف الغمة"، إذ تحيل هذه المتتالية إلى التشخيص، والتحليل وتسليط الضوء" (حراث، 2016، صفحة 277). إن عنوان هذا العمل كما رأينا يحمل بعدين أساسيين وهما:

أ. المشكلة.

ب. الحل.

المشكلة تكون حسب المقريزي ⟸ الغمة (المجاعة)

الحل الذي يقترحه ⟸ محاربة الفساد بكل مظاهره من أجل إغاثة الأمة.

كما أن الرجل جد ينتظر الكثير من التضامن والتآزر بين أفراد الأمة، وضرب الدولة بيد من حديد تجار الفساد وصناع الموت. كذلك من خلال هذا العنوان نستطيع الاحتكاك دلاليا بالعديد من المعاني الضمنية، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بجملة من المتغيرات، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، العالمية"، لكن لم يصرح بها مؤلف هذا الكتاب، إنما كان يمكن استنتاجها تبعا، او استنادا على الحقل الدلالي لكل مفردة من هذه المفردات، والارتكاز على التحليل السيمائي وآليته الأساسية: "التفكيك والتركيب". (حراث، 2016، صفحة 277)

ج. الربح:

يعتبر الربح محددا أساسيا للاستثمار، حيث لا يرضى الإنسان بأي خسارة، أو يدفع إلى الاستثمار بشكل آلي للحصول على هذا الربح، ونجد هذا في قول المقريزي: لا أنه لما تضاعفت أجرة الفدان من الطين إلى ما ذكرنا وبلغت قيمة الأردب من القمح المحتاج إلى بذره ما تقدم ذكره، تزايدت كلفة الحرث والبذر والحصاد وغيره، وعظمت نكاية الولاة والعمال، واشتدت وطأتهم على أهل الفلح، وكثرت المغارم في عمل الجسور وغيرها". (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 294)

يبين المقريزي من خلال هذا النص كيف أن كلفة الاستثمار قد تزايدت، ما أدى إلى تضاعف أجرة الفدان، وزادت قيمة البذر والحرث والحصاد، وكثرة المغارم في عمل الجسور، مما أدى إلى قلة العائد من الاستثمار وهو ما أشار إليه بقوله " منعت الأرض زكاتها ولم تؤت ما عهد من أكلها فانعدام الفوائض الاقتصادية شكل حاجزا أمام تدعيم آليات الاستثمار حسب ما ذكره المقريزي، ونجد هذا في قوله "تعطلت أكثر الأراضي الزراعية فقلت الغلال". (حراث، 2016، صفحة 294)

.في أكل العباد والكلاب والقطط والجيفة:

وفي وصفه لما نجم من شدة الغلاء والكوارث نجده يقول: "ثم وقع في أيام المستنصر الغلاء الذي فحش أمره وشنع ذكره وكان أمده سبع سنى، وسببه ضعف السلطة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان وقصور النيل، وعدم من يزر ما شماله الري، وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فنزع السعر وتزايد الغلاء وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضي من الزراعة، وشمل الخوف، وخيفت السبل برا وبحرا، وتعذر السير إلى الأماكن إلا بالخفارة الكثيرة وركوب الغرر، واستولي الجوع لعدم القوت، حتى بيع رغيف خبز في النداء بزقاق القناديل من الفسطاط تبيع

الطرف بخمسة عشر دينارا وبيع الأردب من القمح بثمانين دينارا وأكلت الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب، فبيع الكلب ليؤكل بخمسة دنانير، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا، وتحرز الناس فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب وجبال فيها كلاليب، فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه ونشلوه في أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه. ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر الخليفة كل ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره، وصار يجلس على حصير، وتعطلت دواوينه وذهب وقاره وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن: الجوع، الجوع تردن المسير إلى العراق فتسقطن عند المصلى وتمتن جوعا".

وتدعيما لهذا نشير إلى ما ذكره المؤرخ ابن إلياس حيث قال إن "الناس أكلت الميتة وأخذوا في أكل الأحياء وصنعت الخطاطيف والكلاليب لاصطياد المارة بالشوارع من فوق الأسطح وتراجع سكان مصر لأقل معدل في تاريخها". هذا الوصف لما آلت إليه الأوضاع بسبب المجاعات والفساد في مصر والبلاد الإسلامية، يعطي لنا كما سبق الإشارة إليه صور حية عن. وأشار المقريزي في كتابه "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" : ظهر الغلاء بمصر واشتد جوع الناس لقلة الأقوات في الأعمال وكثرة الفساد وأكل الناس الجيفة والميتات ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به، وبيعت البيضة من بيض الدجاج بعشرة قراريط وبلغت رواية الماء دينارا وبيع دار ثمنها تسعمائة دينار بتسعين دينار، اشترى بها دون تليس دقيق وعم مع الغلاء وباء شديد وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برا وبحرا، إلا بالخفارة الكبيرة مع ركوب الغرر وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في زقاق القناديل كما تباع التحف والطرق في النداء: خراج، خراج، فبلغ أربعة عشر درهما وبيع إردب قمح بثمانين دينارا، ثم عدم ذلك كله، وأكلت الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير".

الرشوة:

وقف المقريزي على العديد من الظواهر والمشكلات التي كانت تنخر جسم الأمة الإسلامية، ومن بين هذه المشكلات تكلم لنا هن "الرشوة" وقد أرجعها إلى الفساد السياسي المنتشر بقوة في تلك الفترة، حيث أصبح أسلوبا ومنهجا متبعا لتولي المناصب العامة للدولة والمناصب الدينية كالوزراء والقضاة ونيابة الأقاليم وحتى الوظائف الإدارية البسيطة، وفي هذا يقول: السبب الأول، وهو أصل الفساد، ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة كالوزارة والقضاة ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة، وسائر العمال بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل، فتخطى لأجل ذلك كل جاهل ومفسد وظالم وباغ إلى ما لم يكن يأمله من الأعمال الجليلة والولايات العظيمة لتوصله بأحد حواشي السلطان، ووعده بمال

للسلطان على ما يريده من الأعمال، فلم يكن بأسرع من تقلده ذلك العمل وتسليمه إياه وليس معه مما وعد به شيء قل ولا جل، ولا يجد سبيلا إلى أداء ما وعد به إلا باستدانته نحو النصف مما وعد به مع ما يحتاج إليهم من شارة وزي وخيول وخدم وغيره، فتتضاعف من أجل ذلك عليه الديون ويلازمه أربابها، ولا جرم أنه يغمض عينيه ولا يبالي بما أخذ من أنواع المال ولا عليه بما يتلفه في مقابلة ذلك من الأنفس ولا بما يريقه من الدماء ولا بما يسترقه من الحرائر" (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 117).

نلاحظ هنا قوة الوصف والتحليل لظاهرة الرشوة وكيفية الحصول على مناصب الدولة من طرف أصحاب المال، وكيف يتلاعب المسؤولين بمصالح الأمة، فهم لا يبالون لها، ما يهمهم هو المال والجاه، فيبعث المناصب والوظائف لمن ليسوا بأهل لها، هذه الظاهرة ما زلنا نعيشها اليوم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. حيث تباع المناصب سواء في البرلمان، أو في الإدارات والمؤسسات، ونظرا لما كلفتهم من أموال هذه المناصب، فيعمل هؤلاء الانتهازيون على استرجاعها بشتى الطرق وذلك من خلال الرشوة واستغلال النفوذ وبيع الأحلام الكاذبة. وفي هذا يقول المقريزي: " ويحتاج إلى أن يقرر على حواشيه وأعوانه ضرائب، ويتعجل منهم أموالا، فيمدونهم أيضا أيديهم إلى أموال الرعايا ويشرئبون لأخذها بحيث لا يعفون ولا يكفون، ثم ينبأ البائس في جميع الأموال التي ستدانها إذ أتته استدعاءات من الأوامر وحواشي السلطان، أو نزل به أحد منهم إن كان المتولي متقلدا عملا من أعمال الريف. فيحتاج له ضيافات سنية وتقادم جليلة من الخيول والرقيق وغير ذلك بحسب الحال، ولا يشعر مع ذلك إلا وغيره قد تقلد ذلك العمل بما التزم به، وقد بقيت عليه جملة من الديون فيحاط على ما يوجد له من أثاث وحيوان وغيره، ويعاقب العقوبات المؤلمة فلم يجد بدا من الالتزام بما أخر ليقلد العمل الأول أو غيره من الأعمال (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 117، 118). ومن النتائج المترتبة عن انتشار الرشوة وبيع المناصب والتلاعب بما نجده يقول:" ولما دهي أهل الريف بكثرة المغارم وتنوع المظالم، اختلفت أحوالهم وتمزقوا كل ممزق، وجلوا على أوطانهم، فقلت مجابي البلاد ومتحصلها لقلة ما يزرع بها ولخلو أهلها ورحيلهم عنها لشدة الوطأة من الولاة عليهم، وعلى من بقي منهم وكان هذا الأمر أيام الطاهر برقوق، إلى أن حدث غلاء ستة ست وتسعين، فظهر بعض الخلل لا كله في أحوال عامة الناس لأمرين، أحدهما: البقية التي كانت بأيدي الناس فاحتملوا الغلاء لأجلها، والثاني: كثرة صلات الطاهر وتولي بره مدة الغلاء في سنة سبع وثمان وتسعين بحيث لم يمت فيه أحد بالجوع فيما نعلم" (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 118).

في سياسة النقود:

بعد أن ذكر تقي الدين كيف نشأت النقود في عهد الدولة الإسلامية والمراحل التي مرت بها، وعرض أهم الروايات حول أول من ضرب الدنانير والدراهم واختلاف أوزانها بشيء من التفصيل في مختلف أقطار الدولة الإسلامية نجده ينتقل إلى موضوع عام وهو رواج الفلوس وعلاقته بالغلاء بالفاحش، فيقول: " أعلم جعل الله لك إلى كل خير سبيلا ذلولا، وعلى كل فضل علم دليلا، أنه لم تزل سنة الله في خلقه، وعادته المستمرة منذ أن كانت الخليقة إلى أن حدثت هذه الحوادث وارتكبت هذه العظائم التي قللناها في جهات الأرض كلها، عند كل أمة من الأمم كالفرس والروم واليونان والقبط والعرب العاربة والعرب المستعربة، ثم في الدولة الإسلامية منذ ظهورها أن النقود التي تكون أثمانا للمبيعات وقيما للأعمال إنما هي الذهب والفضة فقط، لا يعلم في خبر صحيح ولا سقيم عن أمة من الأمم ولا طائفة من طوائف البشر أنهم اتخذوا أبدا في قديم الزمان ولا حديثه نقدا غيرهما، حتى قيل أن أول من ضرب الدينار والدرهم آدام عليه السلام، وقيل لا تصلح المعيشة إلا بهما". (المقريزي، إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات، 2007، صفحة 120) وقد حاول العلامة تقي الذين المقريزي من خلال هذا القول استنطاق تاريخ النقود والبرهنة على ما يجري في مصر وبعض البلاد العربية والإسلامية من صناعة النقود من النحاس وحتى الحديد، هو فعل مخل بالسياسة النقدية وأنه راجع إلى الفساد الاقتصادي والمعيشي، كما أنه أراد من وراء هذا الكلام رسم صور حية لما وصل إليه الأمر من انحطاط وأزمات حدة تعصف بالأمة الإسلامية، بسبب ضعف وجشع الحكام واستبدادهم وكذلك طغيان أصحاب الأموال والثروات. كما أن ظاهرة الغش في النقود وضربها من غير الفضة والذهب يعود إلى كثرة الترف وانشغال الحكام في الكماليات وكثرة انفاقهم، على حساب المواطنين البسطاء المحرومين وللحد من هذه الظاهرة نجده يقترح العودة إلى نظام نقدي طبيعي وأصيل، أي العودة إلى ضرب النقود من معدن الذهب والفضة، مع تثبيت قيمة النقود من خلال جعل الدنانير من الذهب والدراهم من معدن الفضة، مع أن تكون الدراهم الفلوس محدودة من حيث الكمية وتستخدم في المبادلات ذات القيمة المحدودة. هذه بعض الآراء التي احتوتها كتابات العلامة تقي الدين المقريزي وخاصة من بينها كتابه "إغاثة الأمة بكشف الغمة"، الذي اعتمدنا عليه في هذا العمل. كما نشير إلى أن هذا العالم كان من السباقين في تناول العديد من القضايا الممكن تسميتها اليوم: بالأنثروبولوجيا النقدية والأنثروبولوجيا الحضرية، الأنثروبولوجيا الاقتصادية والسياسية وغيرها من المواضيع والفنون المعرفية الأخرى.

خاتمة

بعد عرضنا هذا لبعض إسهامات العلامة تقي الدين المقريزي في مجال ما يمكن تسميته بالأنثروبولوجيا الاقتصادية من خلال الاعتماد على ما جاء في بعض أعماله ومنها كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة، توصلنا إلى أن الرجل كان يتمتع بالنظرة الثاقبة وقوة التحري ونقل الحقائق كما هي في الميدان. لقد استطاع هذا العالم المتميز الوقوف على أهم العلل التي كانت وراء الفساد الاجتماعي والسياسي التي كانت تتخبط فيه، مصر والأمة الإسلامية في عهد الفاطميين. هذا وقد قدم لنا صور حية عن النظم الاقتصادية وإخفاقها لكثرة انتشار مظاهر الرشوة، والمحسوبية والمصالح الشخصية الضيقة، بالإضافة إلى فساد الحكام والمتاجرة في المناصب والوظائف الحكومية. دون أن ننسى نقله لصور ومظاهر الانحطاط وانقلاب الناس على بعضهم البعض ووصولهم إلى أكل البشر والكلاب والقطط والجيفة وهذا لهول الوضع الكارثي.

قائمة المصادر والمراجع:

أبو هلال, أ .(1979) .*مقدمة إلى الانثروبولوجيا* .(Vol. 2)عمان، الأردن: مكتبة النهضة الإسلامية.

هان , ك & ,.هارت, ك .(2014) .، *الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التاريخ والأثنوغرافيا والنقد*) .ع. ا. فاضل , (.Tradبيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث والدراسات ودراسة السياسات.

الجباوي, ع .(1997) .*الأنثروبولوجيا علم الإناسة* .سوريا :منشورات جامعة دمشق.

الجنيدل, ح. ب .(1992) .*دراسة للفكر الاقتصادي عند أحمد بن علي الدلجي وذلك من خلال كتابه "الفلاكة والمفكلكون" أي الفقر والفقراء* .الرياض، السعودية: دار معاذ للنشر والتوزيع.

الشماس, ع .(2004) .*مدخل إلى علم الإنسان "الأنثروبولوجيا ."* دمشق، سوريا: منشورات إتحاد الكتاب العرب.

الكنز, ع .(1984) .*ابن بطوطة، تحتفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار* . الجزائر: موفم للنشر.

المقريزي, ت. ا .(1997) .*السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق وتقديم محمد عبد القادر عطا* .بيروت: منشورات دار الكتب العلمية.

المقريزي, ت. ا .(2007) .*إغاثة الأمة في كشف الغمة، دراسة وتحقيق كرم حلمي فرحات* .القاهرة، مصر: عين للدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.

النميسي, م. ع .(1999) .*تقي الدين المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع* .بيروت: دار الكتب العلمية.

حراث, س .(2016) .*الفكر الاقتصادي عند المقريزي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع الثقافي* .البليدة، الجزائر: قسم العلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 2.

حوامدة, ش .(02 06, 2021) .*ماهو الفرق بين الأنثروبولوجيا الاقتصادية والاقتصاد؟* Récupéré sur . e3arabi: https://e3arabi.com/author/shreehan/page/2/

عثمان, ش. ع .(1990) .*تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية* .الكويت :عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

عطا, م. ع .(1977) .*ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة* .بيروت : دار الكتب العلمية.

عيون السود, ن .(1995) .*نشوء وتطور الفكر النفسي.الاجتماعي عند العرب* .دمشق، سوريا: منشورات إتحاد الكتاب العرب.

فهيم, ح .(1986) .*قصة الأنثروبولوجيا.فصول في تاريخ علم الإنسان* . الكويت: عالم المعرفة، العدد 98.

لينتون, ر .(1967) .*دراسة الإنسان*) .ع. ا. الناشف (.Trad ,بيروت، لبنان، : المكتبة العصرية.

معتوق, ج .(2016) .*الأنثروبولوجيا، الفروع والمداخل النظرية* .القاهرة: دار الكتاب الحديث.

منير, م .(03 06, 2021) .*الإمام أحمد بن علي الدلجي، أكذوبة الفقر* Récupéré sur .الأخبار-https://al : akhbar.com/litterature_arts/48842

وصفي, ع .(1975) .*الأنثروبولوجيا الثقافية* .القاهرة، مصر: دار المعارف.